



## السلوكات العدوانية وأنماط التعلق لدى المراهقين المتمدرسين

في سياق الطوارئ

سيعلي مصطفى

حسناء متوكل

محمد عليك

محمد الركبي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش

المغرب

## ملخص.

تفرض حالات الطوارئ توفر العديد من الميكانيزمات النفسية التي يمكن الاعتماد عليها لتجاوز المرحلة. حيث تظهر خلالها العديد من السلوكات المتنوعة من بينها تلك التي تتسم بالعدوانية لدى مختلف الأعمار، والمراهقين بشكل خاص. البث في العوامل المرتبطة بظهورها اهتم به الباحث بولي من خلال دراسته لأنماط التعلق السائدة لدى المراهق التي يتسم سلوكه بالعدوانية، وتهدف هذه المقالة إلى فهم هذه المتغيرات في سياق حالات الطوارئ مثل الأزمات الصحية والكوارث الطبيعية والصراعات، نظرا لما من هذه الوضعيات من خصوصيات وظروف خاصة، بهدف معرفة كيفية مساهمة أنماط التعلق في تبني السلوكيات العدوانية في أوقات التوتر الشديد. وتشير نتائج الأدبيات العلمية إلى أن المراهقين الذين لديهم تعلق أقل أماناً هم أكثر عرضة لإظهار سلوكات عدوانية استجابة لزيادة التوتر، وتركز على أهمية الممارسات التربوية والتدخلات النفسية والاجتماعية في خفض حدة تبني السلوكات العدوانية.

الكلمات المفتاحية: السلوكات العدوانية – أنماط التعلق – المراهقين المتمدرسين – سياق الطوارئ.



## Résumé.

Les situations d'urgence exigent la mise en place de divers mécanismes psychologiques sur lesquels on peut compter pour traverser cette phase. Elles donnent lieu à une variété de comportements, notamment ceux marqués par l'agressivité chez différentes tranches d'âge, en particulier chez les adolescents. L'exploration des facteurs liés à l'émergence de ces comportements a été étudiée par Bowlby à travers son analyse des styles d'attachement dominants chez les adolescents dont le comportement est marqué par l'agressivité. Cet article vise à comprendre ces variables dans le contexte des situations d'urgence telles que les crises sanitaires, les catastrophes naturelles et les conflits, en raison des spécificités et des conditions particulières de ces situations. L'objectif est de comprendre comment les styles d'attachement contribuent à l'adoption de comportements agressifs en période de stress intense. Les résultats des recherches scientifiques montrent que les adolescents ayant un attachement moins sécurisé sont plus susceptibles d'adopter des comportements agressifs en réponse à une augmentation du stress. L'article souligne également l'importance des pratiques éducatives et des interventions psychologiques et sociales pour réduire l'adoption de ces comportements agressifs.

**Mots-clés** : comportements agressifs – styles d'attachement – adolescents scolarisés – contexte d'urgence.



## مقدمة:

يعد السلوك العدواني لدى المراهقين من أهم المشاكل التي تواجه المهتمين بالحقل التربوي بالبيئات المدرسية والاجتماعية بصفة عامة. ما يجعل من فهم العوامل الكامنة وراء هذه السلوكيات أمر بالغ الأهمية لتطوير التدخلات الفعالة. من الباحثين من يرى أن هناك علاقة وطيدة بين السلوك العدواني وبعض أنماط التعلق السائدة لدى المراهق الذي يتبنى هذه السلوكيات، سواء كانت رد فعل على مثير خارجي، أو نتيجة لمثير داخلي. وبالتالي التطرق لمفهوم السلوك العدواني يحيل تدريجياً على ضرورة الكشف على أنماط التعلق. من هنا تبرز ضرورة الاهتمام أيضاً بمفهوم التعلق. وفقاً لنظرية جون بولي (1969)، يعتبر سمة التعلق من السمات التي تتطور خلال مرحلة الطفولة المبكرة، حيث تؤثر بشكل عميق على التنظيم العاطفي والسلوك الاجتماعي لدى الفرد خلال فترة المراهقة والتي تتوافق ومرحلة التمدرس في مستويات الإعدادي الثانوي والثانوي التأهيلي. يمكن أن تندرج هذه الإشكاليات ضمن الوضعيات المشككة اليومية التي تواجه كافة المتدخلين في الشأن التربوي. لكن، في أوقات الأزمات، خاصة في وضعيات الكوارث الطبيعية أو الأزمات الصحية التي تستدعي ميكانيزمات نفسية خاصة لتجاوز المرحلة الاستعجالية بأقل الأضرار، دون أن يؤدي التوتر الناتج إلى تداعيات قد تتمثل في تبني سلوكيات عدوانية أو أخرى غير صحية، خاصة بين المراهقين الذين لديهم أنماط تعلق أقل أماناً وتبحث هذه المقالة في كيفية تأثير أنماط التعلق على السلوكيات العدوانية لدى المراهقين المتمدرسين في حالات الطوارئ.

## المفاهيم النظرية.

## 1. مفهوم العدوان:

يرى فرويد (1920) Freud أن العدوان جزء من الطبيعة الإنسانية، وغريزة من غرائز الموت (Thanatos)، حيث أن الإنسان يسعى إلى تدمير الذات أو الآخرين كرد فعل لغريزة الموت، فهنا فرويد يفسر العدوان كنتيجة لعدم قدرة الفرد على توجيه تلك الغرائز بطريقة مقبولة اجتماعياً.

أما كونراد لورينز K. Lorenz (1966) فيرى أن العدوان غريزة بيولوجية تطورت من أجل البقاء، ويرتبط بالقدرة على الدفاع عن النفس والمنافسة على الموارد. حيث أن العدوان يعتبر جزءاً من البقاء الطبيعي للحيوان والإنسان على حد سواء.

ويفترض ألبرت باندورا A. Bandura (1973) أن العدوان سلوك مكتسب يتم تعلمه من خلال النمذجة، أي مشاهدة الآخرين، خصوصاً الراشدين خلال مرحلة الطفولة وهم يقومون بسلوكيات عدوانية، وخاصة عندما يُكافأ هذا السلوك أو لا يُعاقب عليه.

يشير دودج كينيث دودج K. Dodge (1990) إلى أن التحيزات المعرفية تُسهّم في السلوك العدواني، حيث يفسر الأفراد تصرفات الآخرين على أنها عدائية أو مهددة، حتى وإن لم تكن كذلك، مما يؤدي إلى سلوكيات عدوانية.

يفسر جون دولارد J. Dollard (1989) رائد نظرية الإحباط والعدوان بأن هذا الأخير باعتباره حالة انفعالية التي تلي حالة الإحباط، أي أن العدوان ينشأ بشكل مباشر عندما يحبط شخص ما من تحقيق أهدافه.

أما التعريف ذو الأساس البيولوجي فيفيد أن هناك ارتباط بين العدوان ومستويات الهرمونات (مثل التستوستيرون) والنواقل العصبية (مثل السيروتونين والدوبامين). الدراسات تشير إلى أن النشاط الزائد في اللوزة الدماغية قد يزيد من احتمالية السلوك العدواني (Nelson et Trainor, 2007).



من غير الممكن حصر جميع هذه التعاريف في تعريف واحد ووحيد شامل، نظرا لكون كل باحث منهم يتناول المفهوم من زاوية معينة، سواء كانت فسيولوجية، معرفية، سلوكية، أو بيئية، وكل منها يقدم رؤية علمية حول العوامل المتدخلة في ظهور هذا النمط من السلوكات.

### مفاهيم مرتبطة بالعدوان

#### العنف والاعتداء:

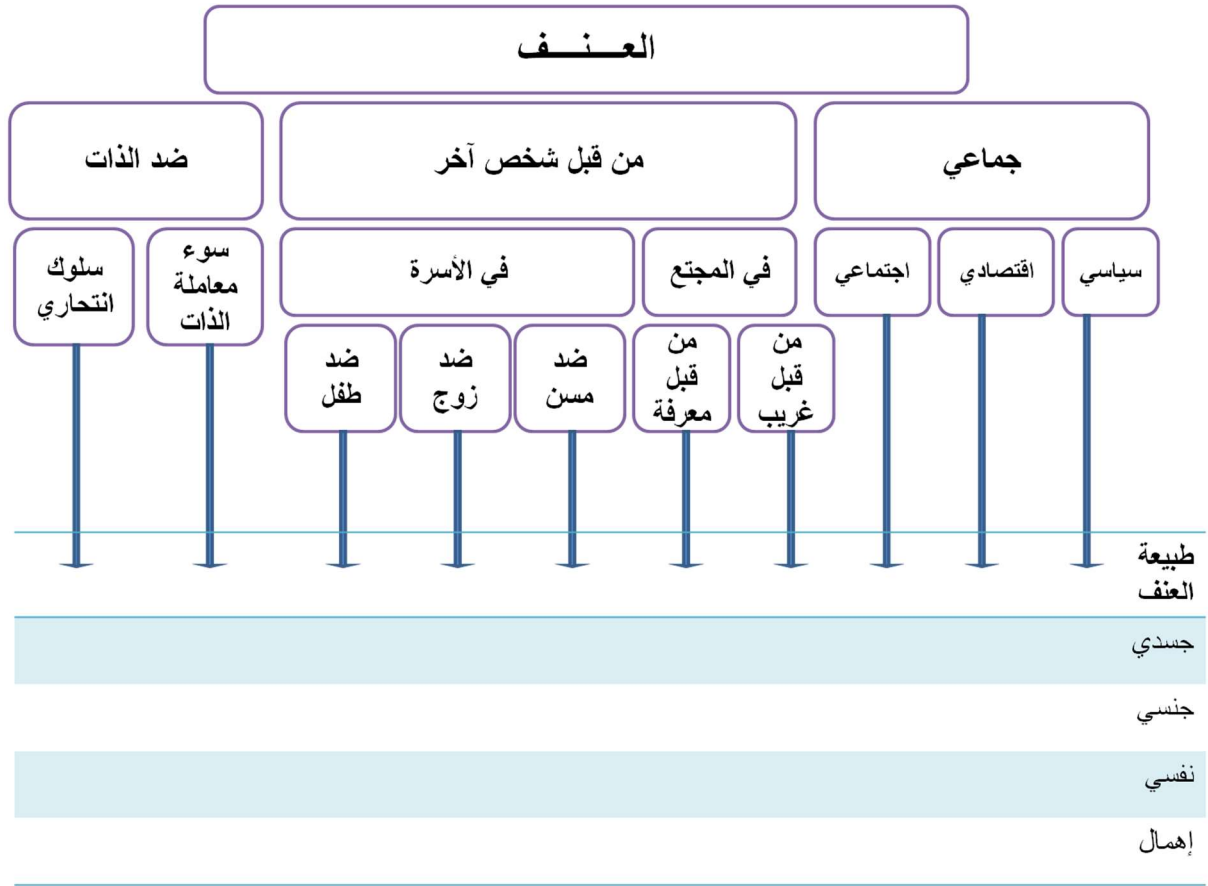
الاعتداء قد تكون له قيمة عندما يكون سلوكا تكيفيا، أو عندما يهدف للحفاظ على بقاء النوع، مما يجعله بدون شك يختلف عن العنف، فليس هناك ما يبرر العنف، يرى Anderson & Bushman أن كل عنف إلا ويعتبر اعتداء، غير أن كل اعتداء ليس عنفا. ويثير مفهوم العنف الانتباه من خلال نتائجه المتطرفة، كما هو الحال في القتل أو الهجوم الجسمي الحاد. ويمكن أن يواجه العنف نحو الغير كما هو الحال في حالة الاغتصاب أو الارهاب او المعاملة السيئة، ويمكن أيضا أن يكون هذا العنف موجها نحو الذات. (أوزي، 2014، صفحة 13)

#### العنف والعدوان:

| العنف  | العدوان   |
|--|---|
| يكون في الغالب صورة من صور العدوان، وهو محدود وواضح. | أوسع وأشمل من العنف وقد يكون في بعض الأحيان سلوكا غير واضح. |
| يستخدم القوة ليعبر عن نفسه.                          | ليس بالضرورة أن يتخذ مظهر القوة، فقد يكون نقاشا حادا.       |
| قد يتخذ مظهر السيطرة على الغير وإخضاعه وإذلاله.      | السيطرة وإخضاع الآخرين وإحداث الضرر المادي بهم.             |
| الحد من حرية الآخرين.                                | الحد من حرية الآخرين.                                       |
| قد يكون سبب العنف عامل معين يزول بزواله.             | العدوان سلوك وطبع يلزم الشخص العدواني.                      |
| العدواني يرتكب سلوكه لإيقاع الأذى بغيره.             | قد يكون العنف وسيلة من وسائل الدفاع عن النفس وحماية الذات.  |

(أوزي، 2014، الصفحات 13-14)

وقد قامت منظمة الصحة العالمية بوضع شكل توضيحي يبين الأشكال المختلفة للعنف كما يلي:



شكل رقم (1): شكل توضيحي لأشكال العنف.

(OMS , Krug, Linda L. Dahlberg et Etienne G., 2002, p. 7)

وفقاً لهذا الشكل البياني فالعنف يتغير وفقاً لعدة خصائص مقبل الجهة الممارسة له، ومن جهة أخرى عددهم، ووجهته، الغرض منه هل اقتصادي أم اجتماعي، داخل البيت الأسري أو خارجه، ثم ضد من؟ وأيضا طبيعة العلاقة التي تربط المعتد بضحية العنف؛ كل هذه متغيرات وجب الإشارة إليها للحديث عن الآثار التي يمكن أن تنجم عن التعرض للعنف، وتبقى طبيعة هذا العنف الممارس من أبرز المحددات التي تميز به درجة خطورة العنف من خلال دراسة آثار الناجمة عن كل نوع، سواء أكان عنفا جسدي أو جنسي أو نفسي أو إهمال.

## 2. مفهوم المراهق المتمدرس.

يمكن تعريف المراهق بالطفل الذي يعتقد أنه أصبح راشداً، أي الاقتراب من النضج الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي (فاطمة الكتاني 2001)، في هذه المرحلة، يمر الطفل بتغيرات جسدية تتداخل مع العوامل النفسية والاجتماعية، مما يجعله يشعر بأنه لم يعد طفلاً. هذا الشعور يجعله يواجه العديد من الصعوبات والتحديات على الصعيدين النفسي والاجتماعي، حيث يكون غير مستقر في توازنه، متناقض في مشاعره، وحساساً للغاية.

## 3. مفهوم التعلق.



يشير التعلق إلى العلاقة العاطفية التي تربط الفرد بمقدم الرعاية، وتشمل هذه العلاقة سلسلة من التفاعلات الاجتماعية والمشاعر المتبادلة مثل الحب والاهتمام وتلبية الاحتياجات والحماية. يُعد هذا التعلق جوهرياً لضمان بقاء الفرد، والحفاظ على أمانه وسلامته، وتلبية حاجاته الأساسية. وتحديداً في الطفولة، حيث يظهر الأطفال ارتباطاً فطرياً بمقدمي الرعاية من خلال ردود أفعال طبيعية مثل الابتسامة والانتباه (Schaffer, 2007, P 83).

ويعد مفهوم التعلق شائعاً بين الباحثين في مجال علم نفس النمو والصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية، خصوصاً بعد إسهام "بولي" في هذا المجال بدراسته للأطفال. وفقاً لبولي، يبدأ نظام التعلق بالتطور في السنة الأولى من حياة الطفل ويستمر في التأثير على حياة الفرد في مراحل لاحقة، ويعبر عن رابطة مميزة بين الطفل ومقدمي الرعاية الأولية له. كما يعتبر التعلق عنصراً أساسياً في تطوير مفاهيم عاطفية واجتماعية مثل الأمن والحب والإدراك الاجتماعي. حيث يتميز التعلق بعلاقة دائمة تمنح الأمان والراحة والهدوء للأطراف المعنية، وتزيد من التوتر والقلق عند غيابهم، مما يدفع الفرد لتعزيز تلك العلاقة والحفاظ عليها (Werner & Davenport, 2003, p. 179).

### أنماط التعلق:

إن أنماط التعلق هي استراتيجيات وتصورات تتعلق بالأهداف الرئيسية للذات. تعتبر هذه الأنماط أساليب تنظيمية للتوقعات والاحتياجات العاطفية، بما يشمل تنظيم الانفعالات والسلوكيات الاجتماعية. فهي تضم استراتيجيات سلوكية وانفعالية تساعد الفرد على تنظيم علاقاته الاجتماعية وعواطفه، بناءً على تجاربه مع المقربين، مثل الوالدين. حيث يتشكل "نموذج الذات" من خلال استجابات الأهل لرعاية وحب الفرد، مما يؤدي إلى إدراكه لنفسه إما كفرد جدير بالحب وناجح اجتماعياً، أو كشخص غير مرغوب وغير كفؤ (Guedeney & Guedeney, 2006, p.235).

ومع تراكم خبرات الفرد وتجاربه مع الآخرين وما يواجهه من نتائج إيجابية أو سلبية، يتشكل "نموذج الآخرين"، والذي يتمثل في إدراك الفرد للآخرين إما كأشخاص داعمين وحساسين، أو كأشخاص معاقبين وقاسين. وهذان النموذجان يحددان تقبل الفرد لذاته ومدى ثقته بالآخرين (Conway, 2005, p.594).

تؤكد نظرية بولي أن البيئة الدافئة تشجع الفرد على رؤية الآخرين كأشخاص موثوقين ومحبين، مما يعزز لديه شعور التعلق الآمن. أما في البيئات التي يتعرض فيها الفرد للرفض أو السخرية من المقربين، فإنه يطور تصوراً عن الآخرين بأنهم عدائيون وغير موثوقين، مما يؤدي إلى ظهور أنماط تعلق غير آمنة (أبو غزال، 2007، ص 234). لذلك، فإن نمط التعلق يؤثر على نمو وبناء شخصية الفرد، كما يؤثر أيضاً على علاقاته الاجتماعية وصحته النفسية وتوجهاته المستقبلية (Moghadam et al, 2016, p.593).

عرفت أنماط التعلق لدى الراشدين اهتماماً كبيراً من المتخصصين في علم النفس، وذلك نظراً لعلاقتها الوثيقة بشخصية الفرد وطريقة تعامله مع الآخرين، سواء في العلاقات الاجتماعية أو الرومانسية، بالإضافة إلى توافقه النفسي العام (Simpson, 1990, p.971). وقد تم تصنيف أنماط التعلق لدى البالغين بناءً على النماذج العاملة الداخلية التي تشمل "نموذج الذات" و"نموذج الآخرين"، حيث ينقسم هذان البعدان إلى إيجابي وسلي (أبو غزال، 2007، ص 242). وبناءً على هذا التقسيم، تظهر أربعة أنماط للتعلق.

### أ. نمط التعلق الآمن

يمتاز الأفراد الذين يتصفون بنمط التعلق الآمن بوجود نماذج داخلية إيجابية تجاه أنفسهم والآخرين. فهم يتقبلون ذاتهم ويعتقدون أنهم يستحقون الحب والرعاية، مما يجعل علاقاتهم مليئة بالموودة والثقة. حيث يعزز هذا النمط من شعورهم بالثقة بالنفس، كما يمكنهم من الحفاظ على علاقات وطيدة مع عائلاتهم وأصدقائهم (عدة ودحماني ومأحي، 2018، ص 113). وفقاً ل(نولير) و(فيني) (Noller, 1994).



Feeny & Feeny)، فإن أصحاب هذا النمط يتمتعون بانضباط عاطفي أفضل في علاقاتهم، ويشعرون بالسعادة والثقة في مواجهة الضغوط النفسية، ويكون لديهم خوف أقل من الاقتراب من الآخرين (Noller & Feeny, 1994, p. 199). كما يشير (راجا) و(ستانتون) إلى أن الأفراد ذوي النمط الآمن يمتلكون قدرة عالية على بناء العلاقات، ويتميزون بشخصية اجتماعية مفتوحة (Raja & Stanton, 1992, p. 481).

#### ب. نمط التعلق الراض

يمتاز الأفراد في هذا النمط بنظرة إيجابية تجاه أنفسهم وسلبية تجاه الآخرين. حيث يفضل هؤلاء الأفراد الابتعاد عن الآخرين والاكتفاء بذاتهم، ويعبرون عن استقلاليتهم. لا يظهرون اهتمامًا بمشاعر الآخرين ولا يشعرون بالحاجة إليها، ويرون أن العلاقات الحميمة ليست ذات أهمية. حتى عند ظهور مشاعر إيجابية لديهم، فإنهم يميلون إلى قمعها وإخفائها، مما يدفعهم نحو العزلة والعيش بمفردهم (Ambruster, 2016, p. 105).

#### ج. نمط التعلق الخائف

يتسم الأفراد في هذا النمط بنظرة سلبية لكل من أنفسهم والآخرين. فهم يعيشون في حالة من السلبية، ويعانون من ضعف العلاقات الاجتماعية ونقص الألفة. يتربون نتائج سلبية من الآخرين، مما يجعلهم يشككون في مشاعرهم ونواياهم، ويعانون من خوف من التواصل الاجتماعي (فكري، 2008، ص 25).

#### د. نمط التعلق المستحوذ

يميل الأفراد في هذا النمط إلى تبني نظرة سلبية تجاه أنفسهم مع رغبة قوية في الاقتراب من الآخرين. رغم رغبتهم في تكوين علاقات حب وصدافة، إلا أنهم يرون أنفسهم بشكل سلبي، مثل اعتقادهم بعدم كفاءتهم، مما يسبب لهم الخوف من الاقتراب من الآخرين. بسبب هذه الرغبة الملحة في التواصل، يميل هؤلاء الأفراد إلى الانصياع لمواقف الآخرين والاعتماد عليهم بشكل مفرط. وغالبًا ما يعانون من عدم استقرار عاطفي، وقلق، وسلوك متهور في علاقاتهم العاطفية (Ambruster, 2016, p. 105).

← النظريات المفسرة للتعلق.

أ. نظرية التحليل النفسي.

توضح نظرية سيجموند فرويد (1856-1939) كيف يتبلور مفهوم التعلق من خلال العلاقة المبكرة بين الطفل ووالديه. يعتقد فرويد أن التعلق يتشكل في المرحلة الفموية الأولى، والتي تُعتبر مرحلة حرجة في عملية بناء الشخصية. في هذه المرحلة، يُعتبر الفم هو مصدر الإشباع الأساسي، حيث يحصل الطفل على الغذاء، بالإضافة إلى مشاعر الحب والمودة والأمان. لذلك، يسعى الطفل إلى البقاء قريبًا من الأم، التي تمثل الشخص المألوف له، من أجل تلبية احتياجاته الغذائية والعاطفية (Barrett, 2006, p). ويعتبر الحب حسب فرويد العنصر الرئيسي في تطوير هذه العلاقة، لكنه يرتبط بشكل جوهري بإشباع الحاجات الحيوية والإشباع الفموي. فكلما كان مقدمو الرعاية أكثر حساسية لاحتياجات الطفل واستجابوا بسرعة لمشاعره، مثل الجوع أو الضيق، زاد شعور الطفل بالحب والرضا، مما يجعله يتمسك بالأشخاص الذين يوفر لهم هذا الإشباع (جاب الله والصبور والطنطاوي، 2020، ص 12).

بذلك، تتحدد أنماط التعلق من خلال طبيعة العلاقة بين الطفل وأمه. فإذا تمت تلبية احتياجات الطفل وشعر باللذة والأمان، سيتطور لديه نموذج تعلق إيجابي يعزز ثقته في العالم والآخرين، مما يجعله شخصًا متفانيًا ومتعاونًا في المستقبل. وعلى النقيض، فإن انفصال الطفل عن



والدته قد يؤدي إلى شعور بالألم والتوتر، مما قد يساهم في تطوير سلوكيات قلق وعدائية، ويؤدي إلى تشكيل نموذج تعلق رافض للآخرين (Holmes, 1993, p.62).

### ب. النظرية السلوكية.

تفترض النظرية السلوكية، استنادًا إلى مبادئ الاشتراط الكلاسيكي والإجرائي، أن التعلق يُكتسب كعادة متعلمة. وفقًا لنموذج الاقتزان الكلاسيكي الذي قدمه بافلوف، يتطور التعلق من خلال العلاقة بين الطفل ووالدته. في البداية، تمثل الأم مثيرًا محايديًا بالنسبة للطفل، لكن مع تكرار اقترانها بأحداث إيجابية، مثل التغذية وتخفيف الألم، تكتسب الأم صفة إيجابية، مما يجعلها كائنًا مرغوبًا يلبي احتياجات الطفل (جانب الله والصبور والطنطاوي، 2020، ص 13).

أما في إطار الاقتزان الإجرائي، يتجلى التعلق كاستجابة مكتسبة من خلال العلاقة بين الرضيع وأمه، حيث تستجيب الأم لسلوكيات الرضيع الفطرية مثل البكاء والجوع والضييق. تُعتبر استجابات الأم، المتمثلة في تقديم الطعام والمشاعر الإيجابية والنظافة، كمعززات تعزز العلاقة الارتباطية بينهما. وبذلك، تتشكل مشاعر الأمان العاطفي والعلاقات الإيجابية كلما كانت الأم سريعة الاستجابة لسلوكيات الرضيع، مما يساهم في شعور الطفل بالأمان ويقلل من بكائه وصراخه (Karen, 1998, p. 66).

وقد دعمت هذه النظرية التجارب التي أجراها غير وبتز Gerwitz عام 1969، حيث أظهرت النتائج أن الأم والطفل يقدمان لبعضهما البعض تجارب تعزز إيجابية من خلال الاهتمام المتبادل، مما يعزز الرغبة في البقاء بالقرب من بعضهما البعض. يظهر ذلك عندما يقوم الطفل بمغازلة أمه، الابتسام، وتحريك ذراعيه وساقيه عند رؤيتها، مما يعزز سلوك الأم ويجعلها تستجيب له بمشاعر الحب والمودة. كما أن إشباع احتياجاته وتخفيف ضيقه يُساهم في تشكيل وزيادة قوة رابطة التعلق بينهما (Gerwitz, 1969, p. 3).

### ت. نظرية بولي التطورية.

طور جون بولي بين عامي 1969 و1980 نظرية التعلق، التي شددت على وجود علاقة عاطفية ذات جذور تطورية. ويشير بولي إلى أن البشر يولدون مزودين بمجموعة من السلوكيات الفطرية التي تجذب مقدمي الرعاية بالقرب منهم، مما يزيد من فرص بقاء الرضيع. تتضمن هذه السلوكيات الرضاعة، الابتسام، الإمساك بالألم، والتحديق في وجهها وعينيها. من خلال هذه السلوكيات، يتكون لدى الإنسان نظام سلوكي يعكس أنماط التعلق وردود الفعل الانفعالية الخاصة بهذه العلاقات (Alloy & Scott, 1999).

يحدد بولي ثلاث وظائف أساسية لهذا النظام:

1. تحقيق القرب من مقدمي الرعاية، مما يدفع الطفل لإظهار سلوكيات القلق والانزعاج، مثل البكاء، عند الانفصال عنهم.
2. توفير ملاذ آمن، حيث يشعر الطفل بالتهديد والاكتئاب عند الابتعاد عن الأم.
3. اعتبار مقدمي الرعاية قاعدة آمنة لاكتشاف البيئة.

من هذا المنطلق، يصبح التعلق حاجة عاطفية تفرض على الأفراد الاقتراب من مقدمي الرعاية أو شركائهم، حيث يستمدون من وجودهم مشاعر الحب والأمان، ويساعدتهم في اكتشاف ذواتهم وقدراتهم. ولتوفير شعور بالطمأنينة، يحتاج الأفراد إلى قاعدة آمنة يلجؤون إليها عند مواجهة مشاعر القلق أو التهديد، مما يجعل وجود شخص آخر يتواصلون معه ضروريًا للنمو النفسي والشعور بالصحة النفسية (العبيدي والساعدي، 2015).





كما يشير بولي إلى أن الأفراد عند تفاعلهم مع الآخرين يشكلون ما يُعرف بالنماذج العاملة الداخلية، والتي تساهم في استمرارية التعلق. وتُعد هذه النماذج عبارة عن مجموعة من التوقعات المشتقة من الخبرات المبكرة مع الأشخاص، وتتضمن مدى قربهم من الفرد واستعدادهم لتقديم الدعم خلال الأوقات الصعبة. وبذلك، تعمل هذه النماذج كتمثيلات عقلية توجه العلاقات الحميمة في المستقبل.

تقسم النماذج إلى جانبين: الأول يتعلق بتقدير الفرد لجدارته بحب وثقة الآخرين، بينما الثاني يتعلق بتقدير مدى استجابة الآخرين لاحتياجات الفرد وثقتهم بهم كشركاء اجتماعيين. وفقاً لهذين الجانبين، يتشكل نمط التعلق لدى الفرد (بمينة، 2015).

وخلص بولي إلى وجود شكلين من النماذج: الأول آمن، حيث يشعر الفرد بأن الآخر يستجيب لاحتياجاته وهو سهل المنال. أما الشكل الثاني فهو مضطرب، حيث يظهر إما كقلق تعلق، يشعر فيه الفرد بعدم استجابة الآخر وصعوبة الوصول إليه، أو كارتباط تجنبي، حيث يشعر الفرد بأن الآخر يميل إلى الرفض، مما يؤدي إلى سلوكيات التجنب والدفاع. وتعكس هذه الأنماط من التعلق الفروق الفردية بين الناس، وتختلف استجاباتهم لشركائهم وطريقتهم في تشكيل علاقاتهم الحميمة (يوسف وإبراهيم، 2013، ص 55).

### ث. نظرية بارثولوميو.

سعى عالم النفس بارثولوميو، في عام 1990، إلى اختبار فرضية بولي المتعلقة بالتعلق، والتي تفترض أن النماذج الداخلية للتعلق تظل ثابتة طوال حياة الفرد وتؤثر على سلوكه وطريقة تشكيله للعلاقات الحميمة مع الآخرين. وقد أظهرت دراساته على الراشدين أن أنماط التعلق المبكرة تظل ثابتة نسبياً وتستمر في التأثير على سلوك الأفراد. أطلق بارثولوميو على هذه الأنماط "أسلوب التعلق لدى الراشدين" (adult attachment style)، حيث تظهر هذه الأساليب من خلال توقعات التعلق واستجابات الأفراد تجاه الأشخاص والمواقف المحددة للانفصال (Lyddon, 2011, p. 405).

ترتبط أساليب التعلق بالنظم النفسية والبيولوجية التي تنظم تقييم استجابات الراشدين الانفعالية ومعتقداتهم المعرفية حول العلاقات الحميمة. هذه الأساليب قد تظهر كشعور بالراحة والسعادة عندما يتواجد الفرد بالقرب من شريكه ويتواصل معه بشكل مستمر، أو قد يشعر بالألم والاكتئاب والوحدة عند الانفصال عنه، كما في حالات الهجر أو السفر أو الطلاق (Kidd, Hamer & Steptoe, 2011, p. 772).

يعتمد نموذج بارثولوميو على بعدين أساسيين، مما يجعله نموذجاً ثنائي البعد (two-dimensional model). يتكون هذان البعدان من:

1. وجهة نظر الذات (view of self): تتعلق بمعتقدات الفرد الذاتية حول نفسه وتقييمه لمدى استحقاقه لمشاعر الحب والسعادة من قبل الشريك والآخرين. يمكن أن تكون هذه النظرة إيجابية (حيث يرى الفرد أنه يستحق الحب) أو سلبية (حيث يرى نفسه كشخص غير كفء).

2. وجهة نظر الآخرين (view of others): تتعلق بمعتقدات الفرد حول الآخرين، والتي تحدد مدى استعداد الآخرين لتلبية احتياجاته وثقتهم بهم. قد تكون هذه النظرة إيجابية (حيث يرى الآخرين جديرين بالثقة وقادرين على التعاون) أو سلبية (حيث يفتقر إلى الثقة بهم ويتجنبهم خوفاً من الرفض) (Bartholomew & Horowitz, 1991, p. 228).

استناداً إلى هذه الأبعاد، قام بارثولوميو وزميله هورويتز في عام 1991 بتصنيف أنماط التعلق لدى الراشدين وفقاً لوجهة نظر الذات والآخرين، مما أدى إلى تحديد أربعة أنماط مستقلة (أبو غزال، 2007).



نمط التعلق الآمن: يتميز الأفراد الذين ينتمون إلى هذا النمط بعدم القلق من الانفصال (قلق منخفض) ورغبتهم في تشكيل علاقات مع الآخرين (تجنب منخفض). إنهم يحملون نظرة إيجابية حول الذات والآخرين، وهذا النمط ينشأ بسبب الرعاية المتجاوبة المستمرة منذ مراحل الطفولة. يشعر هؤلاء الأفراد بالراحة والسعادة عند التفاعل مع الآخرين ويجدون سهولة في التعبير عن انفعالهم وحل مشكلاتهم العاطفية.

النمط المنشغل أو المستحوذ: يواجه هؤلاء الأفراد قلقاً مرتفعاً من الانفصال، ويرجع ذلك إلى نظرهم السلبية نحو أنفسهم، بينما يحتفظون بنظرة إيجابية نحو الآخرين. يظهر هذا النمط بسبب عدم اتساق تقديم الرعاية، ويتميز بالاعتماد العاطفي على الآخرين، بالإضافة إلى الوجدان السلبي واليقظة المفرطة تجاه أي تهديدات محتملة وتدني احترام الذات.

النمط الراض: يتميز الأفراد في هذا النمط بعدم القلق من الانفصال (قلق منخفض) بسبب نظرهم الإيجابية نحو أنفسهم، حيث يرون أنهم مستقلون ولا يحتاجون إلى الآخرين. رغم ذلك، فإنهم يحملون نظرة سلبية تجاه الآخرين ويفضلون الاعتماد على أنفسهم. يظهر هذا النمط نتيجة للرعاية غير المستجيبة لاحتياجات الفرد خلال مرحلة الطفولة.

النمط الخائف: يعاني هؤلاء الأفراد من قلق مرتفع من الانفصال بسبب نظرهم السلبية نحو أنفسهم، بالإضافة إلى نظرهم السلبية تجاه الآخرين. يتميز هذا النمط بتجنب العلاقات الحميمة والخوف من التواصل الاجتماعي نتيجة الشك في قدراتهم على إقامة علاقات طويلة الأمد، مما يدفعهم لتجنب التفاعلات الاجتماعية والعاطفية (Bartholomew & Horowitz, 1991, p. 228).

#### 4. سياقات الطوارئ

تعرف سياقات الطوارئ على أنها تلك الظروف غير المتوقعة التي تتطلب استجابة سريعة وفعالة للتعامل مع المخاطر المحتملة أو الوشيك، مثل الكوارث الطبيعية (الزلازل، الفيضانات)، الأزمات الصحية (الأوبئة)، والحروب والصراعات المسلحة. تتميز هذه السياقات بوجود عوامل متعددة الضغط والتهديد التي تؤثر بشكل مباشر على الأفراد والمجموعات وتفرض تحديات على المستويين النفسي والاجتماعي. وفقاً للعديد من الدراسات، فإن التواجد في مثل هذه الأوضاع يؤدي إلى تنشيط مجموعة من الآليات النفسية التي تساعد الأفراد على التعامل مع الخطر أو التوتر الشديد، لكنها قد تؤدي أيضاً إلى تفاقم بعض السلوكيات السلبية مثل العدوانية والاضطرابات العاطفية (Garfin et al., 2020).

في سياقات الطوارئ، يتم تنشيط ما يُعرف بنظرية "الاستجابة للتوتر"، حيث يقوم الجسم بتنشيط مجموعة من العمليات النفسية والبيولوجية للتعامل مع التهديدات. قد تؤدي هذه العمليات إلى تغيرات في السلوك الاجتماعي، مما يظهر على شكل استجابات عدوانية أو عزلة اجتماعية، خاصة لدى الفئات العمرية الأكثر عرضة مثل الأطفال والمراهقين (Bonanno et al., 2010). أظهرت الدراسات أن المراهقين، على وجه الخصوص، قد يواجهون صعوبة في إدارة مشاعرهم في ظل حالات التوتر الشديد، مما يؤدي إلى ارتفاع معدلات السلوكيات العدوانية والانفصالية (Felitti et al., 1998).

#### العلاقة بين أنماط التعلق والسلوكيات العدوانية.

إن أنماط التعلق التي تم تطويرها خلال السنوات الأولى من الحياة لها تأثير عميق على السلوك والتنظيم العاطفي طوال الحياة. يتناول هذا القسم من مراجعة الأدبيات كيفية تأثير أنماط التعلق هذه على السلوكيات العدوانية لدى المراهقين. يمكن أن تظهر السلوكيات العدوانية بأشكال مختلفة، مثل العدوان الجسدي واللفظي والاجتماعي. يعد فهم العلاقة بين أنماط التعلق وهذه السلوكيات أمراً بالغ الأهمية لتطوير التدخلات الفعالة، خاصة في سياقات الأزمات.



عادة ما يكون المراهقون ذوو التعلق الآمن مجهزين بشكل أفضل للتعامل مع الصراع والتوتر. وفقاً Mikulincer et Shaver (2019)، فإنهم يستخدمون استراتيجيات التكيف ويتجنبون السلوك العدواني حيث وجدت دراسة أجراها (Steinberg et al. 2006)) أن المراهقين ذوي التعلق الآمن هم أكثر قدرة لحل النزاعات سلمياً وطلب الدعم الاجتماعي بدلاً من اللجوء إلى السلوكيات العدوانية. ويظهر هؤلاء المراهقون أيضاً مهارة عاطفية أفضل، مما يسمح لهم بتدبير عواطفهم بشكل أكثر فعالية.

قد يُظهر المراهقون ذوو أسلوب التعلق القلق المتناقض سلوكيات عدوانية استجابةً للتوتر العالي. فلفهم بشأن موضوع التعلق يجعلهم أكثر عرضة للسلوك العدواني في حالات التهديد (Bartholomew & Horowitz, 1991). حيث كشفت دراسة أجراها Fivush et al (2000) أن المراهقين الذين لديهم أسلوب التعلق القلق المتناقض هم أكثر عرضة لتطوير سلوكيات عدوانية عندما يشعرون بالتهديد أو عدم الدعم. قد يُظهر هؤلاء المراهقون أيضاً ميلاً متزايداً نحو التنمر والصراع بين الأشخاص، ويميل المراهقون الذين لديهم نمط تعلق تجنبى إلى تجنب العلاقة العاطفية وقد يظهرون سلوكيات عدوانية في شكل انسحاب أو سلوكيات عدوانية سلبية. ويمكن لهذه السلوكيات أن تشتد في أوقات الأزمات (Shaver, Collins, & Clark, 2005). حيث أظهرت دراسة أجراها Campbell (2001) أن المراهقين الذين لديهم نمط تعلق تجنبى هم أكثر عرضة للانخراط في سلوكيات عدوانية سلبية وتجنب المواجهات المباشرة، مما قد يؤدي إلى تراكم التوتر والعدوان الكامن في تفاعلاتهم الاجتماعية.

كما قد يتطور لدى المراهقين الذين لديهم نمط تعلق غير منظم، وغالباً ما يرتبطون بتجارب مؤلمة مبكرة، سلوكيات عدوانية غير متوقعة ومشوشة استجابةً للتوتر النفسي (Main & Solomon, 1990). حيث وجدت دراسة أجراها Crittenden (1992) أن المراهقين الذين لديهم نمط تعلق غير منظم هم أكثر عرضة لتطوير سلوكيات عدوانية بسبب استجاباتهم غير المنظمة للتوتر والإحباط، والتي غالباً ما تتفاقم بسبب التاريخ المؤلم أو تجارب الإهمال.

يكشف البحث عن العلاقات بين أنماط التعلق والسلوكيات العدوانية لدى المراهقين عن اختلافات كبيرة بناءً على أسلوب التعلق. عادة ما يكون المراهقون الذين لديهم ارتباط آمن أقل عرضة لإظهار سلوكيات عدوانية، في حين أن أولئك الذين لديهم أنماط تعلق قلقة أو متجنبية أو غير منظمة قد يظهرون ميولاً أكبر نحو العدوان استجابةً للتوتر وتسلب هذه النتائج الضوء على أهمية فهم أنماط التعلق في سياق السلوكيات العدوانية لتطوير تدخلات مستهدفة وفعالة.

### السلوكيات العدوانية وسياقات الطوارئ

تشمل الآليات النفسية التي تؤدي إلى تفاقم السلوك العدواني بين المراهقين في أوقات الأزمات زيادة التوتر والقلق والشعور بالعجز (Berkowitz, 1993). تمثل الأزمات مصادر إضافية للتوتر، وتعطل آليات التنظيم العاطفي المعتادة وتعزز السلوك العدواني.

تخلق الأزمات الصحية والكوارث الطبيعية والصراعات الاجتماعية بيئات مرهقة يمكن أن تؤدي إلى تفاقم السلوكيات العدوانية بين المراهقين، بسبب زيادة الضغط وعدم اليقين بشأن المستقبل (Masten, 2014). كما توضح دراسة أجراها Thoma et al. (2014) أن زيادة التوتر المرتبط بالأزمات الصحية، مثل الأوبئة، يرتبط بزيادة السلوك العدواني بين المراهقين، بسبب اضطراب الروتين والشعور بالعجز.

تزيد سياقات الطوارئ من التوتر وعدم اليقين، وهما عاملان معروفان بتأثيرهما على السلوك العدواني Anderson & Bushman (2002).

البحث الذي أجراه Ozer وآخرون (2008) كشف أن المراهقين المتأثرين بالصراع الاجتماعي أو العنف المجتمعي يظهرون مستويات أعلى من السلوكيات العدوانية المرتبطة بتجربة التوتر المزمن وانعدام الأمن



دراسة أجراها McLaughlin وآخرون (2012) وجد أن المراهقين المعرضين للكوارث الطبيعية يظهرون زيادة في السلوك العدواني، والذي يعزى إلى التوتر الشديد وعدم الاستقرار العاطفي.

لسياقات الطوارئ، سواء الصحية أو البيئية أو الاجتماعية والسياسية، تأثير كبير على السلوك العدواني بين المراهقين. يؤدي التوتر المتزايد وعدم اليقين المرتبط بهذه السياقات إلى تفاقم السلوكيات العدوانية، وتعطيل آليات التنظيم العاطفي وزيادة التعرض للصراع. بالتالي يجب تكيف السياسات التربوية والمجتمعية لتلبية الاحتياجات المحددة للمراهقين الذين يعانون من الأزمات لتقليل السلوك العدواني ودعم رفاههم.

### السلوك العدواني في سياقات الأزمات

يمكن معالجة السلوكيات العدوانية بين المراهقين في أوقات الأزمات من خلال التدخلات النفسية والاجتماعية التي تتكيف مع الظروف المحددة لكل أزمة. وتشمل هذه التدخلات برامج إدارة الإجهاد، والعلاجات السلوكية المعرفية، واستراتيجيات الوقاية من العدوان.

العلاج السلوكي المعرفي (CBT): تستمر برامج العلاج السلوكي المعرفي في إظهار فعاليتها في الحد من السلوك العدواني حيث أكدت الدراسات الحديثة أن العلاج السلوكي المعرفي يساعد المراهقين على تطوير مهارات إدارة التوتر والعواطف (Cuijpers et al., 2021).

برامج إدارة الإجهاد: أثبتت التدخلات القائمة على اليقظة وإدارة الإجهاد فعاليتها في الحد من السلوك العدواني أثناء أوقات الأزمات. حيث تسلط الأبحاث الحديثة التي أجراها Kimbrough وآخرون (2019). الضوء على فوائد هذه الأساليب في سياقات الأزمات المحددة، مثل الكوارث الطبيعية (Kimbrough, L., et al., 2019).

### أساليب تحسين روابط التعلق أثناء أوقات الأزمات

يتطلب تعزيز روابط التعلق في أوقات الأزمات تدخلات تدعم الأمن العاطفي واستقرار العلاقات. وتشمل الأساليب برامج دعم الوالدين، والعلاج الأسري، والتدخلات المدرسية.

العلاج الأسري: تظل برامج العلاج الأسري فعالة في تحسين نمط التعلق. حيث اظهرت دراسة حديثة أجراها Mason وآخرون. (2022) أن التدخلات الأسرية يمكن أن تساعد المراهقين على تطوير علاقات أكثر أماناً على الرغم من الأزمات (Mason, S., et al., 2022).

برامج دعم الوالدين: تستمر برامج دعم الوالدين في فعاليتها في تعزيز روابط التعلق. وتظهر الأبحاث الحديثة التي أجراها Ginsburg وآخرون. (2021) أن التدخلات التي تقوم على تدريب الآباء على دعم أطفالهم في أوقات الأزمات يمكن أن تحسن جودة روابط التعلق (Ginsburg, G. S., et al., 2021).

### اشراك مهني التربية والتعليم واعتماد برامج الدعم النفسي في السياسة التعليمية:

يجب تدريب المهنيين الذين يعملون مع المراهقين الذين يمرون بأزمات على تحديد ومعالجة السلوك العدواني والمشاكل المرتبطة بالتعلق. ويجب أن تتضمن سياسات التعليم استراتيجيات لدمج هذه الأساليب في المدارس والمجتمع.



تدريب المهنيين: يعد تدريب المعلمين ومرشدي المدارس على علامات الاضطراب العاطفي واستراتيجيات إدارة السلوك العدواني أمرًا بالغ الأهمية. وتسلط الدراسة التي أجراها Brenner وآخرون. (2022) الضوء على أن التكوين المستمر يحسن فعالية التدخلات للمراهقين الذين يعانون من الأزمات (Brenner, R. A., et al., 2022).

السياسات التعليمية: يمكن للسياسات التي تدمج برامج الدعم النفسي والاجتماعي في المدارس أن تحسن إدارة السلوك العدواني ومشاكل التعلق. توصي الأبحاث الحديثة التي أجراها Zins وآخرون. (2023) بإدراج برامج الدعم النفسي في المناهج المدرسية لمساعدة المراهقين على التعامل مع الأزمات (Zins, J. E., et al., 2023).

تتطلب التدخلات الفعالة للسلوك العدواني ومشاكل التعلق بين المراهقين في سياقات الأزمات اتباع نهج متكامل يجمع بين الاستراتيجيات النفسية الاجتماعية والتعليمية المتماشية مع احتياجات الشباب. وتلعب برامج إدارة التوتر والعلاجات الأسرية ودعم الوالدين دورًا حاسمًا في تحسين رفاهية المراهقين أثناء أوقات الأزمات. يجب أن تتضمن التوصيات الخاصة بالمهنيين والسياسات التعليمية استراتيجيات التدريب والتدخلات المتكاملة لتلبية الاحتياجات المحددة للمراهقين المتأثرين بالأزمات.